المنحرفون دينيًا الذين وردوا في التوقيعات المهدوية حياتهم وأفكارهم

م.د. أحمد مهلهل مكلف الأسدي

جامعة كربلاء-كلية التربية للعلوم الإنسانية-قسم التاريخ
ibn.almuhalhel@gmail.com

ملخص البحث:
تعرّضتُ في هذه الدراسة إلى جزئية من موضوع عقدي مهدوي إسلامي كبير، وتلك الجزئية تتمثّل بذكر أسماء أولئك الذين انحرفوا عن جادة الإسلام وأسّسوا أو تبنّوا أفكارًا ومذاهب فاسدة في وقتٍ لم يكن الإمام المهدي (عليه السلام) حاضرًا بين المجتمع حضورًا علنيًا لمعاداته من قبل السلطة العباسية وبحثها المستمر عنه، مع أسباب أخرى جعلته يتغيّب عن الأنظار، مما هيأ الفرصة لضعيفي العقيدة والمتصنّعين أن يشرعوا بتنفيذ مآربهم سعيًا منهم للحصول على جاهٍ أو الاستحواذ على منصب، أو الاستيلاء على مالٍ، وهو ما اقتضى التصدّي لهم من قبل الإمام بواسطة توقيعٍ يخرجه السفير للعلن لإعلام الناس بحقيقة المنحرف إيذانًا بالبراءة منه ولعنه.

Abstract
This study examines a specific dimension of the broader Islamic doctrinal discourse on Mahdism, focusing on the identification of individuals who deviated from orthodox Islamic teachings and promoted or adopted heterodox ideas and sectarian doctrines during the period of the Imam al-Mahdi's (peace be upon him) occultation. His absence from public life—necessitated by persecution from the Abbasid authority and its persistent efforts to locate him, along with other contributing factors—created a socioreligious context conducive to the emergence of opportunistic actors and individuals of weak faith seeking prestige, authority, or material gain. In response, the Imam intervened through an official pronouncement issued publicly by his appointed representative, with the aim of exposing the deviant individual, formally declaring dissociation from them, and pronouncing condemnation.

الكلمات المفتاحية: *الإمام المهدي. المنحرفون دينيًا. التوقيعات المهدوية. الأفكار المنحرفة.*

المقدمة:

تُعَد العقيدة المهدوية إحدى كبريات العقائد الإسلامية التي زخرت فيها كتب التراث الإسلامي، وهي تتضمن بين طياتها موضوعات كثيرة وفي مختلف العلوم والمعارف، وقد اخترتُ منها موضوع التوقيعات، وهي بحدّ ذاتها أيضًا فيها من الموضوعات المختلفة شيئًا كثيرًا، وممّا تضمنته هو ذكر لبعض الأشخاص الذين انحرفوا عن جادة الإسلام وأسّسوا أو تبنّوا المذاهب الفاسدة والمقالات الباطلة، وكيف تصدّى لهم الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف) ببيان حالهم وخطورة أفكارهم، وذلك التصدّي كان بواسطة كتاب يكون جوابًا عن سؤال موجّه إلى الإمام يتعلّق بشأن المُنحرِف، أو يصدر الكتاب عن الإمام ابتداءً للغرض المذكور، وهذا الكتاب عُرِفَ تاريخيًا باسم (**التوقيع وجمعه توقيعات**) [١: ص٤٣٥، ٤٣٨-٤٧٣]؛ [٢: ص٢٩٤، ٣٢٣، ٣٥٣].

ولما كان التوقيع لا يُفصّل في أسماء الأشخاص المنحرفين وحياتهم وأفكارهم وأسباب انحرافهم وأنواعه، لأن هذه التفاصيل ليست غايته، لذلك جاءت هذه الدراسة لتُبيّن أسماء أولئك المنحرفين وتجمع شتات النصوص وتُحلّل باطن العبارات بما يسهم في تقديم صورة عن حياتهم وأفكارهم وأسباب انحرافهم ونوع الانحراف الذي سلكوه وعلّة تصدّي الإمام لهم وكيفية ذلك، وهو جوهر هذه الدراسة التي لم أجد-حسب اطّلاعي-مَن تعرّض لمثلها سلفًا بكتابٍ أو بحث، وقد اعتمدتُ فيها على مصادر مختلفة عقدية وتاريخية وتراجمية وغيرها، على أن الجزء الأكبر لا سيما ما يتعلّق بأسماء المنحرفين والتوقيعات الصادرة عن الإمام بحقّهم كان تعويلي فيه على كتاب الغَيبة للشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) (رحمة الله عليه ورضوانه) فهو الكتاب الأول في العقيدة المهدوية وتاريخ الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف) وتاريخ وكلائه وسفرائه وغير ذلك من الموضوعات ذات العلاقة.

وبعد أن تكاملت المادة العلمية لهذه الدراسة تم التعامل مع نصوصها على وفق المنهج التاريخي والتحليلي، واقتضى توزيعها - بعد خلاصة البحث ومقدمته-أن يكون على مبحثين: الأول جعلته لذكر أسماء المنحرفين دينيًا وحياتهم، والآخر خصصته لدراسة أفكار المنحرفين والتوقيعات الصادرة بحقهم، ثم كانت خاتمة البحث وفيها ذكرتُ أهم نتائجه، وعقّبتها بقائمة مصادره ومراجعه.

المبحث الأول: المنحرفون دينيًا، أسماؤهم وحياتهم

أولًا: العَبَرْتائي الكرخي:

أبو جعفر أحمد بن هلال، ولِدَ في سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م) [٣: ص٨١]، ولُقّب بالعَبَرْتَائي نسبةً إلى عَبَرْتَا، وهي قرية كبيرة من أعمال بغداد بنواحي النهروان [٤: مج٤، ص٧٧]، وسكن بغداد حيث كان منزله بالكرخ [٥: ص٨٤٧] فعُرِفَ بالكرخي.

عُدَّ في أصحاب الإمامين علي الهادي (ت٢٥٤هـ/٨٦٨) والحسن العسكري (٢٦٠هـ/٨٧٣م) (عليهما السلام) [٦: ٣٨٤، ٣٩٧]، وكان ابن هلال في ظاهر الحال مستقيمًا، وعرفه الناس بذلك، فقد رُويَ أنه حج أربعًا وخمسين حجة، عشرون منها على قَدَمَيْه، فكان رواة الشيعة بالعراق الذين لقوه يكتبون منه، ولكن الإمام الحسن العسكري ومن بعده الإمام القائم (عليهما السلام) كانا يعرفان حقيقته وما يُبطِن ما أفكار، فذمّاه، ووصفه الإمام الحُجّة بأنه صوفي متصنع وأرسل كتابه إلى قوّامه بالعراق يُعرّفهم به، ولشدّة تستره بالدين أنكر بعض الناس ما جاء فيه من الذم، فأكّد الإمام لهم مذمته وسوء سريرته [٣: ص٨١]؛ [٧: ص٨١٦]. وقد كان هلاكه في سنة (٢٦٧هـ/٨٨٠م) [٣: ص٨١]، بعد أن بتر الله تعالى عمره بدعوة الإمام صاحب الأمر (عجّل الله فرجه الشريف) [١: ص٤٤٤].

ثانيًا: الشريعي (السريعي):

ذُكِرَ أن اسمه الحسن وكُنيته أبا محمد، وأما لقبه فتارة يرد "الشريعي" وأخرى "السريعي" [٢: ص٣٩٧]؛ [٨: ج٢، ص٢٤٦-٢٤٧]، وكان من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام) [٢: ص٣٩٧]، وقد ادعى أمرًا عظيمًا فلُعِنَ كما سيأتي في المبحث اللاحق.

ثالثًا: النميري

أبو شعيب محمد بن نصير البصري، أحد الشخصيات المنحرفة التي ظهرت بعد الشريعي في زمن الإمام علي الهادي (عليه السلام) [٧: ص٨٠٥]، وعُدّ من أصحاب الإمام أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام)، فلما مات الإمام اصطنع لنفسه عقائد باطلة وادعاءات كاذبة وقد اشتهر بأفكاره الدينية المنحرفة وسيأتي تفصيل ذلك لاحقًا، وأعانه على ذلك محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات الكاتب، مؤسّسًا بذلك الفرقة النصيرية أو النميرية. وتوفي في سنة (٢٦٠هـ/٨٧٣م) وقيل حوالي (٢٧٠هـ/٨٨٣م) [٩: ص١٤٧]؛ [٢: ص٣٩٨]؛ [١٠: ص٣٩٤]؛ [١١: ص٣٩].

رابعًا: البلالي

أبو طاهر محمد بن علي بن بلال، كان في بادئ أمره مستقيم الطريقة حتى رويَ أن السفير الثالث الحسين بن روح النوبختي (ت٣٢٦هـ/٩٣٧م) كان قد رجع إليه في التفويض وغيره لما اختلفت الشيعة فيه (٢: ص٣٨٧) وكان يُكاتب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، ومن ذلك أنه (عليه السلام) أطلَعه مرّتين على الخَلَف من بعده، الأولى قبل وفاته في سنة (٢٦٠هـ/٨٧٣م) بسنتين والأخرى قبلها بثلاثة أيام [١٢: ج١، ص٢٠١]؛ [١٣: ج٢، ص٣٤٨] وهذا لا يتأتى بطبيعة الحال لكل أحد، وإنما للثقات من أصحابه، إلا أنه كان يُدخِل نفسه في بعض الأمور التي لا تعنيه فلاقى بذلك من الإمام العسكري (عليه السلام) ما كان يستحقّه من الجواب [٢: ص٣٥٠]، ثم انحرف بعد ذلك وعُدّ من المذمومين [٢: ص٣٥٣، ٤٠٠] وسيتبيّن وجه انحرافه.

خامسًا: الحلاج

أبو مغيث الحسين بن منصور، قيل في أصله أنه من بلدة البيضاء بفارس، ونشأ بواسط وغيرها من أرض العراق [١٤: ص٣٣٥]؛ [١٥: ج٢، ص١٤٠]؛ [١٦: ج١٣، ص٤٦]، وينم سلوكه المذكور في بعض كتب مَن ذكره عن انحرافٍ فكري كبير وطريقة عيشٍ غريبة لا تمت لحياة الإنسان السوي بصلة، فقد وصف بالشعوذة والتصوّف وادّعاء المعرفة بالعلوم جميعها، ويظهر للعامة بمظهر المتصوف وللسلاطين العباسيين بمظهر المتشيع [١٧: ص٢٦٩-٢٧١]، وقد ابتدأت دعواه الباطلة-التي سنذكرها لاحقًا-في سنة (٢٩٩هـ/٩١١م) وتبعه أناس كُثُر [١٤: ص٣٣٥] ووصلت أخباره إلى المقتدر العباسي (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م) فأمر به فقُتِل وأُحرِق وذلك في نهاية سنة (٣٠٩هـ/٩٢١م). [١٧: ص٢٧٠-٢٧١]؛ [١٨: ج٦، ص٦٧٠-٦٧١]؛ [١٥: ج٢، ص١٤٥].

سادسًا: الشلمغاني (ابن أبي العزاقر)

أبو جعفر محمد بن علي، يُنسَب إلى شَلْمَغَانُ، وهي ناحية من نواحي مدينة واسط العراقية [٤: مج٣، ص٣٥٩]، كان في بادئ أمره مستقيم الطريقة، وصاحب فقه يُرجَع إليه [٢: ص٣٢٤، ٣٨٩]، ثم انحرف وساءت سريرته وكان يسعى إلى تقمّص منصب السفارة وادّعاها لنفسه [٢: ص٣٠٧]، وأفصح عن شدّة طلبه لها بقوله: **"ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه في هذا الأمر إلّا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف"** [٢: ص٣٩٢]، وسبّبت أفكاره المنحرفة وأقاويله الباطلة رفضه من قبل السفير الثالث النوبختي وطُلِبَ فهرب إلى الموصل وأقام فيها سنينًا ثم عاد إلى بغداد [١٦: ج٤، ص٨١]، ولم يتُب وصار له أتباع ببغداد يُعرفون بالعزاقرة [١٩: ص٢٣١]، فطلبته السلطة العباسية زمن الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٣-٩٤٠م) فقُبِضَ عليه وصُلِبَ وأُحرق وذلك في سنة (٣٢٢هـ/٩٣٣م) [١٤: ص٣٤٣]؛ [٢: ص٣٠٧، ٤٠٦]؛ [١٨: ج٧، ص٢٦-٢٧].

سابعًا: أبو بكر البغدادي:

محمد بن أحمد بن عثمان، هو ابن أخي السفير الثاني أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري (٣٠٥هـ/٩١٧م)، كان منحرفًا عن الجادة وغير مرحّب به من قبل العمري حتى أنه كان يأمر الشيعة بالتوقف عن المذاكرة في مجالسه العلمية إذا دخل عليهم مجلسهم، لانحرافه عن التشيّع الصحيح، وإذا كان قد اشتهر بشيء فبقلّة العلم والمروءة [٢: ص٤١٤].

وقد ذهب البغدادي إلى البصرة وعمل في خدمة واليها المسمى (اليزيدي) مدة طويلة حتى جمع مالًا كثيرًا، فسُعِيَ به إلى الوالي، فقُبِضَ عليه وصودرت أمواله وضُرِبَ على أُمِّ رأسه حتى نزل الماء في عينيه، فمات ضريرًا [٢: ص٤١٤].

ثامنًا: أبو دُلَف المجنون

محمد بن مظفر (المظفر) الكاتب الأزدي، كان قد تربى على أيدي الكرخيين وتتلمذ فصنعوا منه شخصية منحرفة، ثم اضطرب عقله [٣: ص٣٧٨] حتى قيل فيه: **"جنون أبي دُلَف وحكايات فساد مذهبه أكثر من أن تُحصى"** [٢: ص٤١٤] وسنأتي على انحرافه.

تاسعًا: الدهقان:

عروة بن يحيى النخّاس البغدادي، كان من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام)، ومن بعده الإمام العسكري (عليه السلام)، وقد ورد ذكره بلقبه المشهور "الدهقان" في سياق التوقيع الصادر عن الإمام القائم (عجّل الله فرجه الشريف)، المتضمن لعن أحمد بن هلال المتقدم ذكره، فإنه لما أنكر بعض الشيعة خروج اللعن بحقّ ابن هلال لاعتقادهم بصحة ديانته، خرج توقيع آخر يؤكّد لعنه ومذكّرًا إياهم بالدهقان وكيف تغيّر وانحرف بالرغم من طول صحبته وخدمته، وروي أنه هلكَ في زمن الإمام العسكري(عليه السلام) بعد دعائه عليه بالهلاك [٧: ص٨١٦، ٨٤٣]؛ [٢٠: ص٣٨٣].

عاشرًا: أبو الخطاب

محمد بن أبي زينب الأجدع الأسدي مولاهم، لم يكن ظهوره في زمن الإمام القائم (عجّل الله فرجه الشريف)، وإنّما ذكره في إحدى توقيعاته الشريفة لمناسبة أذكرها لاحقًا في سياق عرض انحرافاته، وأبو الخطاب هذا لا يُعرَف عن حياته شيئًا إلا أنه ظهر في زمن الإمام الصادق (عليه السلام) (ت١٤٨هـ/٧٦٥م) وثار على المنصور العباسي (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) في سبعين من أتباعه، فقتلهم عامل الكوفة عيسى بن موسى العباسي (ت١٦٧هـ/٧٨٣م) إلّا نفرًا قد أفلت، وأما أبو الخطاب فوقع في الأسر فأُخذ لعيسى فقتله وأمر به فصُلب مع جماعة وأُحرقوا وبعث برؤوسهم إلى المنصور، وذلك في سنة (١٤٣هـ/٧٦٠م) كما قيل. [٩: ص١١٧-١١٨]؛ [٢١: ج١، ص٧٦-٧٨]؛ [٢٢: ص١٨٣].

المبحث الثاني: أفكار المنحرفين والتوقيعات الصادرة بحقهم.

لقد اجتمعت جملة من الأسباب جعلت الأفكار المنحرفة والعقائد الباطلة والمذاهب الفاسدة تشق طريقها في المجتمع الإسلامي، ومن أهم تلك الأسباب التي قادت أولئك المتقدّم ذكرهم إلى ذلك الانحراف الديني، وجود طبقة في المجتمع غير واعية دينيًا ونتيجة عدم وعيها سهّل كثيرًا تقبّل الأفكار المطروحة وبخاصة أن بعض أصحابها كانوا معروفين لدى المجتمع بالديانة، فاستغلوا هذه الثغرة، مع وجود عامل آخر وهو وفاة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) التي أحدثَت هزّة عقدية كبيرة وغربلة شديدة ولم يثبت على الحق إلّا الخشن في ذات الله تبارك وتعالى، وكذلك ما أعقبها من عدم الحضور العلني للإمام صاحب الزمان (عجّل الله فرجه الشريف) الذي خَلَفَه، مما شجّعهم على تقمّص دور الوكيل أو السفير للإمام ودعوة الناس إليهم، ثم الترقّي في الأمر إلى اصطناع العقائد الباطلة وتكوين المذاهب الفاسدة، مضافًا إلى ذلك أن الشخصية التي انحرفت وأسّست أو تبنّت الفكرة المنحرفة لم تكن في الأساس صادقة في تديُّنها، وإنما هو تصنّع غايته استدراج ضعيفي الوعي لخطهم الانحرافي.

وقد بيّن بعض هذه الأسباب أحد أوثق الرواة وأجلّهم قدرًا وأعظمهم منزلةً ألَا وهو أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري (ت٣٨٥هـ/٩٥٥م) [٦: ص٤٤٩] وقد كان قريب عهدٍ أو معاصرًا لأولئك المنحرفين، بقوله: **"وكل هؤلاء المُدّعين إنّما يكون كذبهم أولًا على الإمام وأنهم وكلاؤه، فيَدْعُون الضَّعَفَة بهذا القول إلى موالاتهم، ثم يترقى الأمر بهم إلى قول الحلاجية، كما اشتهر من أبي جعفر الشلمغاني ونظرائه عليهم جميعًا لعائن الله تترى"** [٢: ص٣٩٧-٣٩٨].

إذن، فالأوضاع كانت مهيأة للشريعي والنميري وابن هلال والبلالي والشلمغاني وغيرهم ممّن جاء بعدهم لنفث سمومهم في المجتمع الإسلامي، وهو ما حصل قولًا وفعلًا، فكان الشريعي أوّل من ادّعى البابية للإمام، وكذب على الله تعالى وعلى حُجَجه (عليهم السلام)، ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء

[٢: ص٣٩٨]، فقد زعم أن الله تعالى حلَّ في خمسة أشخاص وهم: النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام علي والسيدة فاطمة والإمامين الحسن والحسين (عليهم السلام)، وزعم أن هؤلاء الخمسة آلهة، وزعم أتباعه الشريعية أن لها أضداد خمسة واختلفوا في أضدادها، فمنهم من زعم أنها محمودة، لأنه لا يُعرَف فضل الأشخاص التي فيها الإله إلّا بأضدادها، ومنهم من زعم أن الأضداد مذمومة. [١٩: ص٢٢٣، ٢٣٩]، فلما ظهر منه الكفر والإلحاد لعنته الشيعة وتبرأت منه [٢: ص٣٩٨].

وسار بركبه النميري، فإنه لما توفي الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ادعى مقام السفارة وأنه الباب للإمام القائم بدلًا من السفير الثاني محمد بن عثمان العمري، ثم تعاظمت دعواه بأن جعل نفسه رسولًا نبيًّا وأن الإمام علي الهادي (عليه السلام) أرسله لأنه الرب بزعمه، وكان يقول بالتناسخ، وبالإباحة للمحارم وكثيرًا من المحرمات، فتصدّى له العمري ولعنه وتبرأ منه وحَجَبَه عنه، وذُكِر في التوقيع ضمن الأشخاص الذين حذّر الإمام شيعته منهم [٢: ص٣٩٩، ٤١١]؛ [٧: ص٨٠٥].

ولما احتُضِرَ النميري سألوه: لمَن هذا الأمر من بعدك؟ فقال: لأحمد، فلم يدروا مَن هو فافترقوا ثلاث فرق، فرقة قالت أنه أحمد ابنه، وفرقة قالت هو أحمد بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، وفرقة قالت أحمد بن أبي الحسين محمد بن محمد بن بشر بن زيد، فتفرّقوا ولم يرجعوا إلى شيء، وادّعى هؤلاء النبوة عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وسُمّيت هذه الفرق النميرية [٢٣: ص١٠٠-١٠١]؛ [٩: ص١٤٧].

وأمّا ابن هلال الكرخي فإنّه تغيّر بعد وفاة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ولم يقرّ للسفير الثاني أبي جعفر العمري بالوكالة بالرغم من اجتماع الشيعة على وكالته، وقد تحدّث علماء الشيعة معه لثنيه عن رأيه والإقرار بوكالة العمري المنصوص عليها من قبل الإمام، فرفض زاعمًا أنه لم يسمع الإمام قد نصّ عليه بالوكالة، قائلًا: **"فأمّا أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه. فقالوا: قد سمعه غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم"** [٢: ص٤٠٠]، ولما بقيَ على ضلالته خرج في لعنه التوقيع على يدي أبي محمد القاسم بن العلاء وكيل الإمام (عجّل الله فرجه الشريف): **"قد كان أمْرُنا نفذ إليك في المتصنع ابن هلال لا رحمه الله، بما قد علمتَ لم يزل، لا غفر الله له ذنبه، ولا أقاله عثرته يُداخل في أمرِنا بلا إذن منّا ولا رضى يستبد برأيه، فيتحامى من ديوننا، لا يُمضي من أمرنا إلا بما يهواه ويريد، أراده الله بذلك في نار جهنم، فصبرنا عليه حتى تبر الله بدعوتنا عمره. وكنا قد عرّفنا خبره قومًا من موالينا في أيامه لا رحمه الله، وأمرناهم بإلقاء ذلك إلى الخاص من موالينا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله ، وممن لا يبرأ منه"**[٧: ص٨١٦].

ونظرًا لشدّة تستّر ابن هلال بلباس الدين واستغراب الناس مما خرج فيه من الذّم له والبراءة منه، وقطعًا لتساؤلهم بشأنه، أردف الإمام: **"وأعلِم الإسحاقي** (وهو أحمد بن إسحاق من أهل قُم) **سلّمه الله وأهل بيته مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع مَن كان سألك ويسألك عنه من أهل بلده والخارجين، ومَن كان يستحق أن يطّلع على ذلك، فإنه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يؤديه عنا ثقاتنا، قد عرفوا بأننا نفاوضهم سرّنا، ونحمله إياه إليهم وعرفنا ما يكون من ذلك إن شاء الله تعالى"**، فأنكر بعض الناس أيضًا ما خرج فيه، فعاودوا القاسم فيه فخرج التوقيع: **"لأشكر الله قدره، لم يدعُ المرء ربّه بأن لا يزيغ قلبه، بعد أن هداه، وأن يجعل ما مَنَّ به عليه مستقرًا ولا يجعله مستودعًا"**. [٧: ص٨١٦].

فيتأكّد من هذا التوقيع الشريف، أن ابن هلال لم يكن صادقًا في تديّنه، بل كان متصنعًا يُظهِر الإيمان ويُبطِن الفجور، وهو ما جعله يستبد برأيه ولا يمتثل لأيّ توجيه من السفير الثاني، فاستحقّ بذلك دعاء الإمام عليه بالهلاك والنار ودعوته لشيعته بأن يقاطعوه ويبرأوا منه وممّن لا يبرأ منه.

وكان ممّن انحرف وتغيّر وارتدّ عن الإسلام ابن بلال، فقد ادّعى الوكالة زورًا وكانت عنده بعض الأموال للإمام فامتنع عن تسليمها لأبي جعفر العمري، الذي بدوره حاول إقناعه فأخذه لمكان تواجدَ فيه الإمام الحُجّة (عجّل الله فرجه الشريف) فأراه إيّاه وأمره الإمام بإرجاعها، فلم يمتثل فلعنه الشيعة وأعلنوا البراءة منه، وكان الإمام قد حذّرهم منه [٢: ص٤٠١، ٤١١].

وكان الشلمغاني -ويُعرَف أيضًا بابن أبي العزاقر- أشهر المنحرفين وأخطرهم، لأنه كان في بادئ أمره مستقيم الطريقة وفقيهًا من فقهاء الإمامية وصاحب مصنفات كثيرة كتبها قبل ضلالته، منها التكليف والغَيبة وماهية العصمة والأوصياء وغيرها [٣: ص٣٧٨]؛ [٢٤: ص٢٢٤]؛ [٢: ص٤٠٨، ٣٢٤،

٣٩١]، ثم حمله الحسد للسفير الثالث أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي على ترك صراط أهل البيت (عليهم السلام) والدخول في المذاهب الرديئة [٣: ص٣٧٩]، فكان يُخاصم النوبختي ويُنافسه ويتقاتل معه على مقام السفارة ويدّعي أنه صاحب الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف) [٢: ص٣٠٧، ٣٩٢]، وكان ينقل عنه الأكاذيب والأفكار المنحرفة التي تُخرج المعتقد فيها عن دائرة الإسلام، ومن ذلك أنه كان يذهب إلى بني بسطام وكانت له وجاهة عندهم، ويُحدّثهم بأن روح رسول الله (صلى الله عليه وآله) انتقلت إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، وروح أمير المؤمنين (عليه السلام) انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، وروح مولاتنا فاطمة (عليها السلام) انتقلت إلى أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري، فنقلت الأخيرة أباطيله إلى النوبختي، فنصحها بقطع صلتها ببني بسطام ممّن اعتقد بمقالات الشلمغاني، لأنها كفر بالله تعالى وإلحاد، وقال لها: **"قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم، ليجعله طريقًا إلى أن يقول لهم: بأن الله تعالى اتّحدَ به وحلَّ فيه، كما يقول النصارى في المسيح عليه السلام، ويعدو إلى قول الحلاج لعنه الله"**، ثم شاع في بني نوبخت الحديث، فلم يبقَ أحد إلّا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكاتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه وممّن يتولاه ورضيَ بقوله أو كلّمه فضلًا عن موالاته [٢: ص٤٠٣-٤٠٥].

وكان من اعتقادات ابن أبي العزاقر أن الحق واحد وإنما تختلف قمصه، فيوم يكون في أبيض، ويوم يكون في أحمر، ويوم يكون في أزرق، فأنكرَ مقالته بعض علماء الشيعة، لأنهم عدّوا ذلك قول أصحاب الحلول [٢: ص٤٠٨]، وهم الذين زعموا أن كل مَن انتسب لآل أحمد (صلى الله عليه وآله) برًا كان أو فاجرًا فالله حالٌّ فيه، وهم جميعًا مساكنه لأنهم الحُجُب، وأبطلوا ولاداتهم، وزعموا أن ذلك تلبيس، وأن محمدًا وعليًا (صلوات الله عليهما) لم يلِدا ولم يُولَدا [٢٣: ص٦٣].

ولم يكتفِ ببثّ هذه الأباطيل، بل راح يكذب على الإمام صاحب الزمان (عجّل الله فرجه الشريف) وينسب الإجابات على المسائل الفقهية لنفسه، فقد روى أبو الحسن محمد بن أحمد بن داود القمي قالًا: **"وجدتُ بخط أحمد بن إبراهيم النوبختي وإملاء أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه على ظهر كتاب فيه جوابات ومسائل أُنفذت من قُم يسأل عنها هل هي جوابات الفقيه عليه السلام أو جوابات محمد بن علي الشلمغاني، لأنه حُكيَ عنه أنه قال: هذه المسائل أنا أجبتُ عنها، فكتب إليهم على ظهر كتابهم: "بسم الله الرحمن الرحيم قد وقفنا على هذه الرقعة وما تضمنته، فجميعه جوابنا عن المسائل ولا مدخل للمخذول الضال المضل المعروف بالعزاقري لعنه الله في حرف منه"** [٢: ص٣٧٣].

ولخطورة انحراف هذا الشخص الذي ارتدّ عن الإسلام، وغيره من المنحرفين الذي سبق ذكرهم، تصدّى لهم الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف) وأرسل توقيعه إلى سفيره النوبختي، ونصّه: **"عرّف أطال الله بقاك وعرَّفكَ الله الخير كلّه وختم به عملك، مَن تثق بدينه وتسكن إلى نيّته من إخواننا أدام الله سعادتهم: بأن (محمد بن علي المعروف بالشلمغاني) عجّل الله له النقمة ولا أمهله، قد ارتد عن الإسلام وفارقه، وألحدَ في دين الله وادّعى ما كفر معه بالخالق جل وتعالى، وافترى كذبًا وزورًا، وقال بُهتانًا وإثمًا عظيمًا، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالًا بعيدًا، وخسروا خُسرانًا مبينًا. وإنّا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته منه، ولعناه عليه لعاين الله تترى، في الظاهر منّا والباطن، في السّر والجهر، وفي كل وقت وعلى كل حال، وعلى كل مَن شايعه وبلغه هذا القول منّا فأقامَ على تولاه بعده. أعلِمهم تولاك الله! أننا في التوقي والمحاذرة منه على مثل ما كنّا عليه ممَّن تقدّمه من نظرائه، من: (السريعي، والنميري، والهلالي، والبلالي) وغيرهم. وعادة الله جل ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة، وبه نثق وإياه نستعين وهو حسبنا في كل أمورنا ونعم الوكيل"** [٢: ص٤١١].

ولم يتوانَ النوبختي بإنفاذ توقيع الإمام إلى أوثق علماء الشيعة-حسب توجيه الإمام- بالرغم من أنه كان محبوسًا في دار المقتدر العباسي (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م)، فقد أنفذَ من مَحبسه التوقيع والمداد رطب لم يجف بعد، وأعطاه للثقة الشيخ العالم الجليل أبي علي محمد بن همام (ت٣٣٦هـ/٩٤٧م) وذلك في شهر ذي الحجة سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م)، قال هارون التلعكبري: **"وأخذ أبو علي هذا التوقيع ولم يدع أحدًا من الشيوخ إلّا وأقرأه إياه، وكُوتِب من بعد منهم بنسخته في ساير الأمصار، فاشتهر ذلك في الطائفة فاجتمعت على لعنه والبراءة منه"** [٢: ص٤١٠].

ويبدو أن الشلمغاني بعد خروج التوقيع هذا هرب بعيدًا، فقد رويَ أنه استتر في مَعْلَثايَا [٣: ص٣٧٩]، وهي بليد قرب جزيرة ابن عمر بالموصل [٤: مج٥، ص١٥٨]، ثم عاد إلى بغداد ولم يتُب، وطلب من النوبختي أن يباهله، مدّعيًا أنه صاحب الإمام وقد أُمِرَ بإظهار العلم باطنًا وظاهرًا، فأنفذَ إليه النوبختي في جواب ذلك أيّنا تقدّم صاحبه فهو المخصوم، فتقدّم العزاقري فقُتِل وصُلب وذلك في سنة (٣٢٢هـ/٩٣٣م) أو التي بعدها، بأمر من الراضي العباسي (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٣-٩٤٠م) [١٤: ص٣٤٣]؛ [٢: ص٣٠٧، ٤٠٦]؛ [١٨: ج٧، ص٢٦].

وكان الحلاج أيضًا ممن انحرف وادّعى زورًا، فقد حاول في بادئ الأمر أن يستدرج الجهال من عامة الناس بادعائه أنه وكيل الإمام صاحب الأمر (عجّل الله فرجه الشريف) المُرسَل من قبله وأنه صاحب معجزات، فإذا ما استجابوا له يترقّى في دعواه [٢: ص٤٠٢]، وكان من سوء تدبيره وقلّة عقله أن خاطبَ بذلك شيخ متكلّمي الإمامية أبا سهل إسماعيل بن علي النوبختي (ت٣١١هـ/٩٢٣م)، قائلًا له في مراسلته إياه: إنّي وكيل صاحب الزمان (عجّل الله فرجه الشريف) وقد أُمرتُ بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوي نفسك، فردّ عليه أبو سهل بأنه سيتّبع مذهبه ويدعو إليه في حال استطاع أن يغير لحيته البيضاء إلى سوداء ويُغنيه عن الخضاب، فلم يردّ عليه الحلاج لعجزه وكذبه، وكان ذلك من أسباب نفور الناس عنه وصيّره أبو سهل أحدوثة وضحكة لدى الصغير والكبير [٢: ص٤٠٣].

وقد استمرّ الحلاج في غيّه، فكان يدّعي معرفته بأنواع العلوم، وظهرت على لسانه أباطيل صوفية وعلى يديه حِيَل ومخاريق، وكان يقول أنا الحق، وحُكيَ عنه من الكلمات ما يجعله في صفوف أهل الكفر والحلولية ، وكان قد اتّبعه قوم من أهل بغداد والطالقان وخراسان، وسُمّي أتباعه "الحلاجية" [١٩: ص٢٢٩-٢٣٠].

وظهر من جملة المنحرفين أبو بكر البغدادي، وكان شخصًا قريبًا من السفير الثاني نسبًا ولكنه شديد البُعد عنه عقديًا وأخلاقيًا وسلوكيًا، وقد ادّعى النيابة زورًا ولكنه أنكر ذلك ولما قدّم له بعض رجال الشيعة مالًا ليختبروه رفض استلامه، لئلا يُكشَف أمره وكان ذلك في البصرة. وكان البغدادي ملحدًا مخمسًا [٢: ص٤١٢-٤١٤]، والمخمسة كما قيل هم الذين زعموا أن الله تعالى هو النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وأنه ظهر في خمسة أشباح وخمس صور مختلفة: في صورة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، وقيل أن المخمسة هم أصحاب الدعوة من الغلاة الذين قالوا: سلمان، وأبا ذر، والمقداد، وعمّار، وعمرو بن أمية الضميري، هم شيعة علي وأصحابه، وهم الموكّلون منه [١٠: ص٣٤٩].

وبالرغم من عدم اعترافه لمشايخ الشيعة بعقيدته الإلحادية إلا أن حقيقته بانت لهم، فلعنوه وبرئوا منه، لا سيما أنه أوصى لأبي دُلَف بالنيابة التي سبق أن ادّعاها لنفسه [٢: ص٤١٢].

وكان أبو دُلَف شخصًا ملحدًا مخمّسًا غاليًا مجنونًا مفوّضًا ومن أتباع أبي بكر البغدادي، وكان يقدّمه على السفير الثالث النوبختي، وكان يعترف بعقيدته ولا يُخفيها، فقد كان يقول: **"نقلني سيدنا الشيخ الصالح قدس الله روحه ونوّر ضريحه عن مذهب أبي جعفر الكرخي إلى المذهب الصحيح، يعني أبا بكر البغدادي"**، ولذلك كان محل استخفاف ولم يُعرف في الوسط الشيعي إلا مدة يسرة وبرئوا منه وممن قال بقوله، ويبدو أنه بقيَ بعد السفير الرابع أبي الحسن علي بن محمد السمري (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م) وادّعى النيابة، فعُدَّ كافرًا ضالًا مضلًا [٢: ص٤١٣].

وهؤلاء الثلاثة المنحرفون الأواخر كانوا مشمولين باللعن في التوقيع الصادر عن الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف) الذي سبق ذكره وذلك في عبارة (**وغيرهم**) الواردة فيه، وقد سبق أن صرّح الطبرسي (ت نحو ٥٦٠هـ/١١٦٤م) بشمولهم به [٨: ج٢، ص٢٤٦-٢٤٧].

ولم تنفع الدهقان عروة خدمته للإمامين العسكريين (عليهما السلام) وطول صحبته لهما وإيمانه في البقاء على المحجّبة البيضاء، فقد تغيّر وانحرف عن الإسلام، وكان يكذب على الإمامين العسكريين (عليهما السلام)، وخان الأمانة المالية التي سُلّمت له، وكانت في خزانة للإمام العسكري، فأخذ لنفسه بعض ما فيها من الأموال، وأحرق الباقي، فلعنه الإمام العسكري ولعنته الشيعة واستحقّ دعوةً من الإمام بالهلاك فأهلكه الله تعالى سريعًا [٧: ص٨٤٢-٨٤٣]، وقد ورد ذكره في التوقيع الصادر عن الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف) بحق ابن هلال كما تقدّم، ومما جاء فيه: **"وقد علمتم ما كان من أمر الدهقان عليه لعنة**

الله وخدمته وطول صحبته، فأبدله الله بالإيمان كفرًا حين فعل ما فعل، فعاجله الله بالنقمة ولم يمهله". [٧: ص٨١٦-٨١٧].

وأما أبو الخطاب، فهو مؤسس الفرقة الخطابية المنحرفة، وكان من أوائل المنحرفين بقوله بألوهية الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وآبائه الطاهرين (عليهم السلام) [٢٢: ص١٨٣]، وكان وأتباعه قد أباحوا للأئمة والأولياء فعل المحرمات وترك الفرائض، لزعمهم بأنها مفروضة على العامة وليس على الخاصة [١٨: ج٦، ص٥٨١]، فلما عَلِمَ الإمام الصادق (عليه السلام) بمقالات أبي الخطاب تبرأ منه ولعنه وشدّد في لعنه والتبرّي منه وأمر أصحابه بذلك [٢٢: ص١٨٣].

وبقيت أفكار هؤلاء الخطابية منتشرةً في البلاد تحملها عدّة فرق منحرفة [٢١: ج١، ص٧٦-٧٨]، وقد أراد أحد رجال الشيعة معرفة رأي الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف) بأبي الخطاب وأتباعه، فأعطى للسفير الثاني كتابًا وطلب منه إيصاله للإمام لبيان ذلك ومسائل أخرى، فورد التوقيع: **"وأما أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع فملعون وأصحابه ملعونون فلا تُجالس أهل مقالتهم فإنّي بريء وآبائي (عليهم السلام) منهم براء"** [١: ص٤٣٩-٤٤٠].

أستشفُّ من التوقيعات التي سبق ذكرها في مواطن متعددة من البحث، لهجة مهدوية شديدة الخطاب وواضحة البيان قد تناسبت مع عِظَم الأمر الذي خرج التوقيع لأجله، فأمّا شدّتها الخطابية هو الأمر الحازم بإعلان البراءة من المنحرف ولعنه ومَن اعتقد بمقالاته، ولا سبيل إلى أحدٍ من الموالين يقرّ للإمام بالإمامة أن يتبعه أو يتردّد في العمل بما أُمِرَ به، وعلّة ذلك واضحة قد بيّنها التوقيع وهو أن المنحرف قد ارتدَّ عن الإسلام وضلّ ضلالاً بعيداً، بما ابتدعه من كفر أو خروج عن طاعة الإمام، مما جعله يستحق اللعن والبراءة والدعاء عليه بالهلاك.

الخاتمة:

تمخّضت هذه الدراسة عن مجموعة من النتائج وهي:

أولًا: كان الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف) مهتمًا ومُراعيًا لشؤون رعيته وناظرًا دقيقًا لمسارات الأشخاص الدينية، وذلك بالرغم من صعوبة حياته في ظل مراقبة السلطة العباسية له وسعيها الحثيث في قتله.

ثانيًا: وثّقت التوقيعات المهدوية أسماء منحرفين كُثُر كان لهم تأثير في نشر الاعتقادات الباطلة والمذاهب الفاسدة.

ثالثًا: كان للتوقيعات المهدوية أثر كبير في كشف المتصنّعين الذين تقمّصوا ثوب الدين لأغراض دنيوية وتحجيم المنحرفين وأفكارهم، بما بيّنته من حقيقتهم للمجتمع الإسلامي، وما دعت إليه من البراءة منهم واللعنة عليهم، وهو ما أدّى إلى مقاطعتهم من قبل كثيرين ومقتل بعضهم.

رابعًا: اتّضح أن هناك مجموعة من الأسباب التي أسهمت في انتشار الأفكار المنحرفة والمذاهب الفاسدة، منها ضعف العقيدة لدى طبقات من المجتمع، واستغلال المنحرفين قُربهم من الأئمة في بادئ أمرهم مع تصنّعهم الديني، ووفاة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وتغيُّب الخَلَف الحُجة (عجّل الله فرجه الشريف) عن الأنظار، مما شجّع المتصنعين على الارتداد عن الإسلام والخروج عن طاعة الإمام.

خامسًا: تُرشدنا بعض التوقيعات المهدوية الشريفة إلى أنه ما لم يكن الشخص محصنًا فكريًا من الداخل وسليم القلب وصحيح السريرة، فإنّ طول صحبته للإمام وخدمته له لا تنفعه من الانحراف إلى المذاهب الفاسدة والأفكار الباطلة، كما حصل للشلمغاني والدهقان عروة.

قائمة المصادر والمراجع (مُرتّبة وفق ورود المصدر في متن البحث)

[١] الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، كمال الدين وتمام النعمة، صححه وعلق عليه وقدم له: حسين الأعلمي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩١م.

[٢] الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، الغيبة، تحقيق: عباد الله الطهراني، وعلي أحمد ناصح، ط٣، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤٢٥هـ.
[٣] النجاشي، أحمد بن علي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، رجال النجاشي، ط١، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٠م.
[٤] ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
[٥] الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، الأمالي، تحقيق: بهراد الجعفري، وعلي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨١م.
[٦] الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قُم، ١٩٩٥م.
[٧] الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، اختيار معرفة الرجال، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ١٤٠٤هـ.
[٨] الطبرسي، أحمد بن علي (ت نحو ٥٦٠هـ/١١٦٤م)، الاحتجاج، ط١، انتشارات الشريف الرضي، قم، ١٣٨٠هـ.
[٩] النوبختي، الحسن بن موسى (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، فرق الشيعة، ط١، منشورات الرضا، بيروت، ٢٠١٢م.
[١٠] الحفني، عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط١، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٣م.
[١١] الحلبي، سليمان، طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها، ط٢، الدار السلفة، الكويت، ١٩٨٤م.
[١٢] الكليني، محمد بن يعقوب (ت:٣٢٩هـ/٩٤٠م)، أصول الكافي، ط١، منشورات الفجر، بيروت، ٢٠٠٧م.
[١٣] المفيد، محمد بن محمد (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لتحقيق التراث، ط١، دار الهدى، قم، ١٤٣١هـ.
[١٤] المسعودي، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، التنبيه والإشراف، راجعة وصحّحه: عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، مصر، ١٩٣٨م.
[١٥] ابن خَلّكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط٥، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩م.
[١٦] الصفدي، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠.
[١٧] ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت٤٣٨هـ/١٠٤٦م)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
[١٨] ابن الأثير، علي بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
[١٩] عبد القاهر البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٨٨م.
[٢٠] الحلي، الحسن بن يوسف (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، خلاصة الأقوال، تحقيق: جواد القيومي، ط١، مؤسسة نشر الفقاهة، قم، ١٤١٧هـ.
[٢١] الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٣٣٠هـ/٩٤١م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٠م.

[٢٢] الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، الملل والنحل، تصحيح وتعليق: أحمد فهمي محمد، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
[٢٣] القمي، سعد بن عبد الله (ت٣٠٠هـ/٩١٢م)، المقالات والفِرق، تحقيق: محمد جواد مشكور، مؤسسة مطبوعاتي عطائي، طهران، ١٣٤١هـ.
[٢٤] الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، الفهرست، تحقيق: جواد القيومي، ط١، مؤسسة نشر الفقاهة، قم، ١٤١٧هـ.